قسم / التربية الفنية

المرحلة / ماجستير

اسم المادة / التربية الجمالية

اسم المحاضرة / ابن خلدون وفلسفته التاريخية الاجتماعية

اعداد / أ.م.د أسامة عدنان الجبوري

2025-2024

ابن خلدون :

ولد عبد الرحمن بن خالد بن خلدون بتونس ٧٣٢هـ ، ٢٧ من مايو ١٣٣٢م وعاش في الجزائر ، كانت أسرة ابن خلدون والتي تنحدر من أصول عربية كما ذكر في كتاباته أسرة ذات نفوذ في إشبيلية في الأندلس ، هاجر بنو خلدون إلى تونس التي كانت تحت حكم الحفصيين يعد من كبار العلماء الذين أنجبهم المغرب العربي ، إذ قدم نظريات كثيرة جديدة في علمي الاجتماع والتاريخ ، بشكل خاص في كتابيه : العبر والمقدمة ، وقد عمل في التدريس في بلاد المغرب ، بجامعة القرويين في فاس ، ثم في الجامع الأزهر في القاهرة ، والمدرسة الظاهرية ، وغيرها من محافل المعرفة التي كثرت في أرجاء العالم الإسلامي المختلفة خلال القرن الرابع عشر نظراً لحث الدين الإسلامي الحنيف للناس على طلب العلم.

نشأ ابن خلدون في بيت علم ومجد عريق ، فحفظ القرآن في وقت مبكر من طفولته ، وقد كان أبوه هو معلمه الأول ، كما درس على يد مشاهير علماء عصره ، فدرس القراءات وعلوم التفسير والحديث والفقه المالكي ، والأصول والتوحيد ، كما درس علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب ، ودرس كذلك علوم المنطق والفلسفة والطبيعية والرياضيات ، وكان في جميع تلك العلوم مثار إعجاب أساتذته وشيوخه.

يعد ابن خلدون المنشئ الأول لعلم الاجتماع ، وتشهد مقدمته الشهيرة بريادته لهذا العلم ، فقد عالج فيها ما يطلق عليه الآن "المظاهر الاجتماعية" أو ما أطلق عليه هو "واقعات العمران البشري"، أو "أحوال الاجتماعي الإنساني".

ابن خلدون هو واضع فلسفة التاريخ أو فلسفة المجتمع المبنية على تتبع الحوادث إلى عللها وكشف قوانينها ، ولو استطعنا ذلك لأصبح التاريخ علماً ، فمن أهم قواعد البحث

التاريخي ان الحوادث يرتبط بعضها ببعض ارتباط العلة بالمعلوم ، أي انه لو تشابهت الظروف لتشابهت تبعاً لذلك الوقائع ، واذا سلمنا بأن طبائع الناس ثابتة أو تكاد تكون ثابتة ، كانت معرفة الحاضر معرفة صحيحة هي وسيلتنا المأمونة إلى معرفة الماضي والى معرفة المستقبل ، وما دام الواقع الحاضر هو مدار حكمنا ، وجب علينا رفض ما قد يروى لنا من أخبار عن الماضي مما نراه مستحيل الوقوع في الحاضر.

أن دراسة ابن خلدون لظاهرة التغيير في المجتمع ، تُظهر لنا أن أحوال المجتمعات لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هي في حالة صيرورة وتغير وانتقال من حال إلى حال ، وأن ذلك خاضعٌ للحتمية التاريخية ، كما يتبين من قوله "إن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ، ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه ، وما يكون عارضاً لا يعتد به ، وما لا يمكن أن يعرض له" . مبيناً أن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده ، ولهذا كان اجتماع الناس من اجل التعاون.

وقد كان "ابن خلدون" . في بحوث مقدمته . سابقًا لعصره ، وتأثر به عدد كبير من علماء الاجتماع الذين جاءوا من بعده مثل : الإيطالي (فيكو) ، والألماني (ليسنج) ، والفرنسي (فوليتر) ، كما تأثر به العلامة الفرنسي الشهير (جان جاك روسو) والعلامة الإنجليزي (مالتس) والعلامة الفرنسي (أوجيست كانط) . وقد امتاز ابن خلدون بسعة اطلاعه على ما كتبه الأقدمون وعلى أحوال البشر وقدرته على استعراض الآراء ونقدها ، ودقة الملاحظة مع حرية في التفكير وإنصاف أصحاب الآراء المخالفة لرأيه . وقد كان لخبرته في الحياة السياسية والإدارية وفي القضاء ، إلى جانب أسفاره الكثيرة في شمالي إفريقية وغربيها إلى مصر والحجاز والشام ، أثر بالغ في موضوعية وعلمية كتاباته عن التاريخ وملاحظاته . فيرى ابن خلدون أن الفلسفة من العلوم التي استحدثت مع انتشار

العمران ، وأنها كثيرة في المدن ويعرِّفها قائلاً "بأن قومًا من عقلاء النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي ، تُدرك أدواته وأحواله بأسبابها وعللها ، بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قِبَل النظر لا من جهة السمع فإنها بعض من مدارك العقل ، وهؤلاء يسمون فلاسفة جمع فيلسوف ، وهو باللسان اليوناني محب الحكمة".

يؤكد ابن خلدون إن الدين والعصبية هما أقوى عالمين يتم بهما اتحاد الجماعة بإرادة الحاكم ، وبما يؤلف بين أفرادها من حاجات ، فإذا ما حدث تحلل في بناء المجتمع بسبب ما قد تسببه الحضارة من رغد وانغماس في الشهوات ، ومن فقدان الناس لبأسهم الحربين ومن ثم فقدانهم للتمسك بدينهم ، ظهرت قبيلة قوية تأتي من الصحراء ، أو ظهر شعب غير مترف ، ويتمتع بعصبية قوية ، وانقض على المدينة المترفة لينشئ دولة جديدة . فشأن الدول والجماعات الكبرى هو هكذا ، الجيل الأول يبنى ويؤسس ، والثاني يحافظ على ما بناه الأول ، والأخير يهدم ، وتلك هي حال المدينات كلها ، إذ إن للمدينة والعمران البشرى قوانين ثابتة.

يحذّر ابن خلدون الناظرين في علم المنطق من دراسته قبل الإطلاع على الشرعيات من التفسير والفقه ، فيقول "وليكن نظر من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والإطلاع على التفسير والفقه ولا يُكبَّنَّ أحدٌ عليها وهو خِلْو من علوم الملة فقلَّ أن يَسلَمَ لذلك من معاطبها ، ولعل ابن خلدون وابن رشد اتفقا على أن البحث في هذا العلم يستوجب الإلمام بعلوم الشرع حتى لا يضل العقل ويتوه في مجاهل الفكر المجرد لأن الشرع يرد العقل إلى البسيط لا إلى المعقد وإلى التجريب لا إلى التجريد. من هنا كانت

نصيحة هؤلاء العلماء إلى دارسي الفلسفة أن يعرفوا الشرع والنقل قبل أن يُمعنوا في التجريد العقلي.

تبنى ابن خلدون المنهج السوسيولوجي في دراسة الأحداث التاريخية ، حيث قال "اِعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمر ان من الأحوال ، مثلا لتوحشو التأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع ، وسائر ما يحدث من ذلك العمر ان بطبيعته من الأحوال".

تبدو أصالة ابن خلدون وتجديده في علم التاريخ واضحة في كتابه الضخم "العبر وديوان المبتدأ والخبر" وتتجلى فيه منهجيته العلمية وعقليته الناقدة والواعية، حيث إنه يستقرئ الأحداث التاريخية ، بطريقة عقلية علمية، فيحققها ويستبعد منها ما يتبين له اختلاقه أو تهافته . أما التجديد الذي نهجه ابن خلدون فكان في تنظيم مؤلفه وفق منهج جديد يختلف كثيرًا عن الكتابات التاريخية التي سبقته ، فهو لم ينسج على منوالها مرتبًا الأحداث والوقائع وفق السنين على تباعد الأقطار والبلدان ، وإنما اتخذ نظامًا جديدًا أكثر دقة ، فقد قسم مصنفه إلى عدة كتب ، وجعل كل كتاب في عدة فصول متصلة ، وتناول تاريخ كل دولة على حدة بشكل متكامل ، وهو يتميز عن بعض المؤرخين الذين سبقوه إلى هذا المنهج كالواقدي ، والبلاذري ، وابن عبد الحكم ، والمسعودي بالوضوح والدقة في الترتيب والتبويب ، والبراعة في التنسيق والتنظيم والربط بين الأحداث. ولكن يؤخذ عليه أنه نقل روايات ضعيفة ليس لها سند موثوق به.